بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

عصمنا الله وَإِيَّاكُم بالتقوى ووفقنا وَإِيَّاكُم لموافقة الْهدى أما بعد:

فَإِنَّك -أصلحك الله- سَأَلتني أَن أوضح لَك من السّنة أمرا تصبر نَفسك على التَّمَسُّك بِهِ, وتدرأ بِهِ عَنْك شبه الْأَقَاوِيل, وزيغ محدثات الضَّالّين,

وَقد شرحت لَك منهاجا موضحا, لم آل نَفسِي وَإِيَّاك فِيهِ نصحا,

بدأت فِيهِ بِحَمْد الله ذِي الرشد والتسديد

الشَّرْحُ

قوله (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ): بدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الرسالة بالبسملة مستعينًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ما قصد من تأليف هذه الرسالة المباركة، ومُقتديًا بالكتاب لعزيز، وبهدي النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ والأنبياءِ من قبلِهِ في رسائلهم.

قوله (عَصَمَنا اللهُ وإياكُم بالتَّقْوى): استهلَّ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالته بهذه الدعوة المباركة، **والعِصْمَةُ**: هي الوقايةُ والسلامةُ من الشُّرورِ والآفاتِ والأَهْواءِ والضلالات، وهي لا تنال إلا بالتقوى، وحظُّ الإنسان منها بحسبِ تقواهُ؛ فكلَّما زادت تقواه كان نصيبُهُ من العِصمة والسلامة أكبرُ وأَوفَرُ، لذا كان مِن دعاء النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **اللهم أَصلحْ لي دِينِيَ الذي هوَ عِصْمَةُ أَمرِي** »[1].

وقال بَكْرُ بن خُنَيْس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كيف يكون مُتَّقِيًا مَن لا يدري ما يتقي؟)[2].

ولهذا نجدُ أهلَ العلم صنَّفوا كُتبًا في بيان الشرك، والبِدَع، والكبائر، ليتعلَّمها العبدُ فيجتنبها، ويحذر منها، كما قيل:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ ... وَمَنْ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرَّ منَ الناسِ يقعْ فيهِ[3]

قوله (ووَفَّقنا وإياكُم لِموافقةِ الهُدى): مراد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالهدى: **السُّنة**، فإنها خيرُ الهُدى الذي أُمرنا باقتفائِه واتِّباعهِ في أقوالنا وأفعالنا، وكان رسول الله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يبين ذلك في كلِّ جمعةٍ إذا خطبَ الناس فيقول: (**أما بعدُ: فإِنَّ خَيرَ الحدِيثِ كِتابُ اللهِ، وخَير الهُدَى هُدَى محمدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وشَرُّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكل بدعَةٍ ضَلالَةٌ**)[4].

وقال أيضـاً عليه الصلاة والسلام: «ما من نبيٍّ بعثَهُ الله في أمةٍ قبلي إلا كان له من أُمَّتِـهِ حواريون وأصحاب؛ يأخذون بسنَّتِهِ، ويتقيدون بأمره، ثم إنها تَخْلُفُ من بَعْدِهم خُلُوف؛ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون...»[٥].

وإنما يحصل الاتباع لهدي نبينا الكريم ﷺ وسُنَّتِهِ بموافقته في الاعتقاد وفي العمل معـاً، فمَن كان على السنة في باب العمل، ولكنَّه مخالفٌ للسنةِ في العقيدة لم يكن متَّبعـاً لسنةِ النبي ﷺ حقَّ الاتباع، ولم يكن موافقـاً لهديه تمام الموافقة، حتى ينتهج السنة في الاعتقاد والعمل، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

قوله (فإنك سألتَنِي أَن أُوضِّحَ لكَ من السُّنَّةِ): أي من العقيدة، فإن العلماء يُطلقون على الكتب المصنفة في الاعتقاد وأصول الدين: (السُّنَّة)، ومِن ذلك كتاب: «السنة» لابن أبي عاصم رحمه الله، و«السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد رحمهما الله، و«شرح السنة» للبربهاري رحمه الله، و«صريح السنة» لابن جرير الطبري رحمه الله.

وتُسمَّى الكتُبُ المصنَّفة في أصول الدين أيضـاً: (العقيدة) أو (الاعتقاد)، وهي مأخوذَةٌ مِن العَقْـد، لأن المسلمَ يعقدُ عليها قلبَهُ مِنَ دون شكٍّ أو ارتياب.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ليس الاعتقاد لي، ولا لمن هو أكبر مني؛ بل الاعتقاد يُؤْخَذ عن الله سبحانه وتعالى، ورسولِهِ ﷺ، وما أجمع عليه سلف الأمة)[١].

قوله (أَمرًا تُصَبِّرُ نَفْسَكَ على التَّمَسُّكِ بِهِ): عبَّر المصنفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (تُصَبِّرُ) ليُبيِّن أن العبدَ المسلمَ في خِضَمٍّ تلاطم الفتن وكثرة الشبهات والشرور أحوج ما يكون للصبر على هذا الدين والسُّنة؛ وإنما يتحصَّلُ هذا التصبُّر بفعل الأسباب المعينة عليه، وفي مقدمة هذه الأسباب أمران:

- **الأمر الأول**: دعاءُ الله عَزَّ وَجَلَّ والإلحاح عليه بالتوفيق والعصمة من الفتن، وسؤاله الثبات على الدينِ والسنَّة.

والأمر الثاني: دراسة كتب الاعتقاد التي ألفها عُلماءُ أهل السنة المبنيَّة على نصوصِ الوحيين وما أجمع عليه خيرُ القرون من الصحابة ومَن بعدهم، فإن دراسة هذه الكتب النافعة على أهل العلم، وحفظها، ثم سؤال أهل العلم عمَّا يُشكل **من أعظم الأسباب المعينة على التصبُّر على السُّنة**.

قوله (وتَدرَأُ بِهِ عَنْكَ شُبهَ الأقَاوِيل): فالشُّبهُ المُضِلَّة إن صادفتْ قلبًا خاليًا من الاعتقاد والإيمان الصحيح تمكَّنت منه، وأثَّرت فيه تأثيرًا بالغًا.

قوله (ومُحدثاتِ الضَّالِّينَ): هذه المُحدثات والبِدَع كثيرةٌ جداً، لا حَدَّ لها ولا عَدَّ، والسلامةُ منها كلِّها إنما يكون بالاعتصام بالكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.